

مصطلح المحاذاة في مستويات اللغة من خلال معجم لسان العرب

The term alignment in language levels
Through the Lisan Al Arab dictionaryد. فوزية طيب عمارة¹أ.د/ أحمد بن عجمية²¹ جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف الجزائر، fouzia3938@gmail.com² جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف الجزائر، a.benadjemia@univhb-chlef.dz

تاريخ الاستلام: 2021/05/25 تاريخ القبول: 2021/07/27 تاريخ النشر: 2021/12/23

ملخص:

المحاذاة ظاهرة تجلت في مختلف المستويات اللسانية، وشاع هذا المصطلح عند اللسانيين العرب بالمزوجة والإزدواج، ويعد أحمد بن فارس أول من استعمل المصطلح في اللغة العربية. ومن خلال استقراءنا لكتب اللغة والمعاجم العربية وجدنا انتشاره في ثلاثة مستويات في اللغة العربية هي:

مستويات: الصوت والصرف والنحو.

كلمات مفتاحية: المحاذاة، المزوجة، الإزدواج، المستوى الصوتي، الصرفي، النحوي.

Abstract:

Alignment is a phenomenon that manifested itself at various levels of linguistics, and this term was common among Arab linguists by pairing and duplication. Ahmad ibn Faris was considered the first to use the term in the Arabic language.

Through our extrapolation of Arabic language books and dictionaries, we found its spread in three levels in the Arabic language:

المرسل المؤلف: فوزية طيب عمارة

Levels: phoneme, morphology, grammar.

Keywords: Alignment, pairing, duplication, phonemic, morphological, grammatical levels.

مقدمة:

المحاذاة ظاهرة تجلّت في مختلف مستويات اللغة: صوتية، صرفية، نحوية ودلالية .

يعدّ أحمد بن فارس (ت395هـ) أول من استعمل هذا المصطلح في العربية، إذ عقد له باباً في كتابه سَمَاه: باب المحاذاة (عمر فاروق الطباع، 231، رجب عبد الجواد ابراهيم، 7)، وعرفها: معنى المحاذاة أن يُجعل كلام بخذاء كلام، فيؤتى به على وزنه لفظاً، وإن كانا مختلفين، ومثّل لهما بقولهم: "الغدايا والعشايا فقالوا: الغدايا لانضمامها إلى العشايا، والغداة لا تجمع على الغدايا، وإنما تجمع على غدوات لا غير، ولكنهم كسّروه على ذلك، ليطابقوا بين لفظة ولفظ العشايا..." وما ورد في لسان العرب، وقالوا: "إني لآتيه بالغدايا والعشايا..." (ابن منظور، 10/27).

ومثّل لها بقوله صلى الله عليه وسلم يُعوّذ الحسن والحسين: "أعيذكما بكلمة الله التامة من شرّ كل ساقاة، ومن كل عين لامة" (المصدر نفسه، 12/334). قال أبو عبيد: قال لامة ولم يقل مُلّمة، لأنها من الفعل الثلاثي المزيد بالهمزة وهو (ألم) والقياس أن يقال -كما سبقت الإشارة- مُلّمة، ولكن لما قرنت بالسّامة جعلت على وزنها (عبد الجواد ابراهيم، 2008، 7، ابن منظور 18).

ومصطلح المحاذاة شاع عند اللغويين بالمزاوجة أو الإزدواج، وقد عقد له ابن قتيبة باباً سَمَاه باب (تأويل المستعمل من مزدوج الكلام) ومثّل له ب: (الطمّ والرّم)، (لا يعرفُ هرا من بر)، (القوم في هياط ومياط)، (وما به خبض ولا نبض)، (وهو لك جلّ وبلّ)، (هو لا يدالس ولا يؤالس) (ابن قتيبة، 44).

وفي لسان العرب. قال ابن مقبل:

هتاك أخبية ولاخج أبوبة **** يخلط بالبر منه الجدّ والليّنا

الشاهد فيه: أبوبة الازدواج لمكان الأخبية، ولو أفرد لم يجز (ابن منظور 1/532).

وقد سماها الثعالبي بالمجاورة، وعقد لها في كتابه فصلا، سماه: (في الحمل على اللفظ والمعنى للمجاورة) وساق لذلك أمثلة منها: (هذا جحر صبَّ خرب) بكسر خرب، على الجوار.

وأما ابن جني (392هـ) فقد سماها بالجوار، وعقد لها في الخصائص سماً (باب الجوار) وجعله على ضربين: أحدهما تجاور الألفاظ، والآخر تجاور الأحوال، فأما تجاور الألفاظ فعلى ضربين: أحدهما المتصل والآخر في المنفصل (ابن جني، 218/3).

من خلال استقراءنا لكتب اللغة والمعاجم العربية لاحظنا انتشار مصطلح المحاذاة في ثلاثة مستويات في اللغة العربية وهي: المستوى الصوتي والصرفي والنحوي .

1. المحاذاة في المستوى الصوتي: وتجسدت في صنفين: صنف الصوائت، وما تعلق من صوائت: الضم والفتح والكسر أو السكون، والآخر في الصوامت وترسم في : القلب أو الحذف أو الزيادة أو الإمالة أو فك الإدغام.

أ. **المحاذاة في الصوائت:** قد يعتري بنية الكلمة تغيير من حيث : الفتح أو الكسر أو الضم لتنسجم مع كلمة أخرى وتحاكيها، ويتحقق معها المحاذاة الصوتية، ومنه قول العرب: "أشد العطش حرّة على قرّة"، ويعنون به: أشد العطش ما كان في يوم بارد، والقياس فتح الحاء (حرّة)، ولكنهم كسروا الحرّة لمكان القرّة " (ابن منظور، 3/115، ينظر: رجب عبد الجواد ابراهيم 13).

وما ورد في اللسان كذلك : كانت امرأة من العرب يقال لها: أم خارجة يضربُ بها المثل فيقال: أسرع من نكاح أم خارجة، وكان الخاطب يقوم على باب خبائها فيقول: خطب افتقول: نكح ويقول: خُطب افتقول: نُكح (ابن منظور، 4/135).

وهكذا فقد تحققت المحاذاة الصوتية في الكلمتين في حالتي كسر فاء الكلمة وضمها. ومنه كذلك قول العرب: "تعسّا له ونكّسّا" بفتح النون في نكّسّا، وقياسه نُكّسّا بالضم، وإمّا فتح للإزدواج " (ابن منظور 14/284، ينظر: السيوطي 1/342).

وفي حديث ابن مسعود: أنه سلّم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وهو يُصَلِّي فلم يردّ عليه السلام، قال: فأخذني ما قدّم وما حدّث"، أي همومه وأفكاره القديمة والحديثة. ولا يقال: حدّث - بضم

الدال- إلا مع قَدُم، كأنه إنباع، وقال الجوهري: لا يضم حُدث في شيء من الكلام إلا في هذا الموضوع، وذلك لمكان قَدُم على الإزدواج (ابن منظور، 3/75، ينظر: السيوطي 1/339).

ولقد جاءت الأمثلة في لسان العرب متنوعة، كاستشهاده بقوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ وإنما كسروا (نَجَس) لمكان (رجس) التي هي مكسورة على كل حال (ابن منظور، 14/53، السيوطي 1/342). وكذلك قولهم: (جاء بلطم) والطَّم تساوي البحر، الرَّم تساوي الثرى، أي جاء بالزطرب واليابس، والطَّم بالفتح هو البحر، فكسرت الطاء ليزدوج مع الرَّم، فإذا أفردوا الطَّم فتحوه (ابن منظور، 8/203).

أ. المحاذاة في الصوامت: وتعريفها أنها تغيير شكلي يطرأ على الكلمة في أحد حروفها من أجل أن تحاذي كلمة قبلها، وقد وردت في خمس صور هي:

القلب والحذف والزيادة والإمالة وفك الإدغام ما استحق الإدغام.

1- فما القلب ؟ هو قلب أحد الأصوات إلى صوت آخر لتصبح الكلمة في مجموع أصواتها محاذية لكلمة بعدها أو قبلها.

2- نماذجه: في حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "ارجعن مازورات غير مأجورات"، حازت كلمة: مازورات كلمة مأجورات: فأما: مازورات: موزورات بالواو، لأنها مشتقة من الوزر، وهو: الذنب، ولكنه أتبع مأجورات، ويقال: رجل موزور غير مأجور، ولما قابلوا الموزور بالمأجور، قلبوا الواو همزة ليأتلف اللفظان ويزدوجا (المصدر نفسه 15/285).

ومنه قول الشاعر:

سيكفيك صرْبُ القوم لحم مُغرَضٌ *** وماءٌ قدور في القصاع مشيبٌ

الشاهد فيه: مشيب، وأصله، مشوب، قلبت الواو ياء ليحاذي بين فاء الكلمة وعينها (المصدر نفسه، 7/315).

ومنه أيضا: (في أذنه طرش وفي جلده برش) والبرش أصله: البرص، ولكن العرب كرهوا أن يقولوا: البرص بالصاد، فقبلوها شيئا، وأطلقوا على جذيمة (من ملوك العرب في الجاهلية ت268هـ)) (ينظر:

لويس معلوف). ابن مالك: الأبرش، وكان به برص، وهذا لتحقيق المحاذاة بين: طرش وبرش (ابن منظور، 1/377).

2. الحذف: وقد تزيد العرب صوتاً أو تحذفه وهذا لتحقيق التوازن بين الكلمات، ومما حذفته العرب لتحقيق المحاذاة بين الكلمات قول لبيد بن ربيعة .

إِنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيْرٌ نَفْلٌ *** وبإذن الله ريشي وعجل .

الشاهد في البيت: عجل، وأصلها عجلي بإلحاق ياء المتكلم، ولكنه حذفها وسكن عين الكلمة ولامها، لتحاذي كلمة نفل قبلها (ينظر: الشعالي 359).

3. الزيادة: أما زادته العرب من أصوات في الكلمة لتحقيق المحاذاة قولهم: " لكل ساقطة لاقطة"، ويعنون به: لكل نادرة من الكلام من يحملها ويشيعها بين الناس، وكان ينبغي القول: لكل ساقطة لاقط، ولكنهم أدخلوا الهاء في اللاقط ليزدوج الكلام وتحقق المحاذاة (ابن منظور، 12/312).

أنواعها: بقاء حرف العلة مع وجود علة الحذف، وذلك بعامل الجزم نحو قوله تعالى ﴿سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ (الأعلى، الآية 6)، والعلة للإنسجام مع فواصل الآيات الأخرى.

- وزيادة الألف في قوله تعالى ﴿وَتَطْنُونُ بِاللَّهِ الظُّنُونُ﴾ زيدت الألف في الظنون لتنسجم مع ما قبلها في الآية نفسها ﴿فَأَضْلُونا السَّبِيلَا﴾ و﴿يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرَّسُولَا﴾ (الأحزاب الآية: 66، ينظر: ابن منظور 1/395، 4/90)، وذلك بزيادة الألف في نهاية الفواصل القرآنية، وهذا لتوازي بقية فواصل السورة.

- ومن مظاهرها كذلك إثبات هاء السكت، نحو قوله تعالى ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهٗ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهٗ﴾ (سورة الحاقة، الآية: 28)، فأصل ماليه وسلطانيه تساوي مالي وسلطاني، وزيدت الهاء لتحديث المحاذاة مع الفاصلة التي قبلها وبعدها .

- ومنه كذلك قوله - صلى الله عليه وسلم - (ليس في حجرة ولا بَعْلَة)، والحجر، الفرس الأنثى ولم تؤنث بالهاء، لأنه اسم لا يشركها فيه المذكر، والجمع: أحجار وحجورة وحجور وإلحاق الهاء المشكلة كلمة: بغلة وهو باب واسع (ابن منظور 3/59، الفيروز آبادي 331، لويس معلوف 119).

-ومنه ما ورد من أمثال العرب التي تحقق فيها المحاذاة بالزيادة قولهم: (لا يُنْبِثُ البَقْلَةُ إِلَّا الحَقْلَةُ) (الفارابي، 1974، 1/144، الميداني، 1959، 2/233، ابن منظور، 3/212)، أي لا يلد الوالد إلا مثله، يضرب مثل للكلمة الخسيسة تخرج من الرجل. قال ابن سيده: (وأراهم أنثوا الحفلة في مثل هذا التأنيث البقلة)، وبذلك تتحقق المحاذاة بينهما وذلك بزيادة علامة التأنيث، وهي -ههنا- التاء المربوطة.

-ومنه حديثه (ص): "يا أبا عُمَيْر ما فعل النَغِير؟"، والنَغِير طائر صغير كالعصفور وبتصغيره ورد الحديث (الفارابي 1/253، الفيروز آبادي 1360، مجمع اللغة العربية 2/936)، وصغره الرسول (ص) رغم أن الكلمة تدل على الطائر الصغير، وهذا التحاذي الكلمة التي قبلها وهي عُمَيْر.

-ومنه كذلك، إدخال (ال) التعريف على الأسهم العلم، وذلك في قول الشاعر.

رأيت الوليد بن اليزيد مباركا. والأصل: الوليد بن يزيد، ولكنه أدخل (ال) عليها التحاذي ما قبلها الوليد. قال ابن جرير: حسن دخول اللام في اليزيد الإلتباس للوليد (رجب عبد الجواد ابراهيم، 2008، 2).

4-الإمالة: ما هي الإمالة وما هي وظيفتها ؟

إن الإمالة من أملتة إمالة، والميل: العدول إلى الشيء والإقبال عليه (ابن منظور، 12/234)، وفي الإصطلاح عدول بالألف عن استوائه وجنوح به إلى الياء، فيصير مخرجه بين مخرج الألف المفخمة وبين مخرج الياء (عبد البديع النيرباني، 2006، 182).

قال إبراهيم أنيس: "واللسان مع الفتح يكاد يكون مستويًا في قاع الفم، فإذا أخذ في الصعود نحو الحنك الأعلى، بدأ حينئذ الوضع الذي يسمى بالإمالة .

وإن أكد أصحاب القراءات أن الفتح أصل، والإمالة فرع، فإن (أنيس) رأى أن الإمالة تكون أصلا في حالات وفرعا في حالات أخرى .

وتحققت المحاذاة الصوتية في الإمالة في قوله تعالى ﴿ وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ﴾ (سورة الضحى، الآية 1) قرئ بالإمالة، والضحي اسم مقصور (ينظر: ابن منظور 8/28)، وجمع ضحوة كقربة وقُرى، والقياس يَأبَى الإمالة، لأنه من الواو، وليس فيه كسرة، والعلة في إمالته -ههنا- حين قرن ب: (جلاها وغشأها)،

وكلاهما مما يمال، لأن فيهما من الياء، لقولك يساوي جليته، وكذلك يغشيان، وعليه أملت وضحها لازدواج الكلام حين اجتمع مع ما يمال .

5- فك الإدغام: والإدغام في الإصطلاح أن تصل حرفا ساكنا بحرف متحرك مثله أو مقارب فينبو (يرتفع) اللسان عنهما نبوة واحدة (ابن السراج 405/3، وينظر: النيرباني 102).

وقد تجلّت المحاذاة في الكلمتين الواردتين في قوله -صلى الله عليه وسلم- في حديثه لنسائه: " ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأذّب، تخرج فتنبحها كلاب الحوآب (ابن منظور 4/271 و 3/6) وأراد بالأذّب، الأذّب: وهو الكثير الوبر .

وحصل - ههنا - فك التضعيف (الإدغام) لبوازي وبخاذي به كلمة حوآب .

2- المستوى الصرفي: من خصائص اللغة العربية التي عدها العلماء لها امتيازها باتساعها الصرفي وهو سبيل الوصول إلى تلك الصيغ، فقد قالوا: "أما التصريف فإنه من فاته علمه فاته المعظم" (السيوطي 1/330)، وإذا كان هناك إهتمام الصرفي يقف عندما يجوز ولا يجوز استخدامه من الصيغ للدلالة على معان بعينها، فإن وظيفة الصرفي تقف عند حدود بيان الصيغ للدلالة على كل معنى من المعاني . ويؤكد السيوطي المعنى بقوله: "لولا الصيغ لضاعت اللغة عنها".

والمحاذاة الصرفية هي تغيير يلحق بنية الكلمة وصيغتها لكي تنسجم مع كلمة سابقة عليها ولاحقة بها في الوزن الصرفي .

ومما تحققت فيه المحاذاة الصرفية صور عدة منها ورود: المشتق على غير قياس والجمع على قياس وتحويل المجرد إلى مزيد وعكسه، والاستغناء بالمفرد عن المثنى والجمع، والعكس، وإيثار بعض صيغ المشتقات والإتباع .

أ- فمما ورد على غير قياس، قوله صلى الله عليه وسلم "أعيذكما من شر كل سامة ومن كل عين لامة" (ابن منظور 12/331).

الشاهد فيه: لامة، أصلها من ألمات بالشيء تأتيه وتلّم به تساوي جمعه وأصلحه .

وفي الحديث "لا تسافروا حتى تصيبوا لُمة" (ابن منظور، 12/331). أي: رفقة.

قال أبو عبيد: قال لامة ولم يقل لُمة، وأصله: ألمت بالشيء تأتيه وتُلَم به ليزاوج قوله: من شر كل سامة (المصدر نفسه).

ومن نفس القياس ما جاء في نظم النابعة الديباني.

كليتي لهم يا أميمة ناصب **** وليل أقاسيه بطيء الكواكب (المصدر نفسه 4/86، وينظر: عبد السلام الحوفي 349).

الشاهد فيه: ناصب من الفعل أنصب، وكان القياس اشتقاق اسم الفاعل منه (منصب) ولكنه أراد المحاذاة بين الصدر البيت وعجزه: كواكب وناصب.

يقول الثعالبي: (ومن سنن العرب أنها قد تحذف من الكلام بعضه لتحقيق المحاذاة، وقد حصل الحذف لتحقيق المحاذاة (الثعالبي، 2008، 348).

ب- وأما الجمع على غير قياس، تمثل لها ب (الغدايا والعشايا).

وقد قالوا: "الغدايا لانضمامها إلى العشايا" (ابن فارس، 1988، 231).

وفي اللسان، قال ابن السكيت في قولهم: "إني لآتية بالغدايا والعشايا قال: أرادوا جمع الغداة فأتبعوها العشايا للإزدواج، وإذا أفرد لم يجز، ولكن يقال: غداة والجمع غدوات لا غير (ابن منظور، 9/27).

ج- وفي تحويل الجرد إلى فعل مزيد، تتحقق المحاذاة من خلاله، بين كلمتين، من ذلك ما ورد في اللسان (هنأني الطعام ومرأني، على الاتباع، فإذا أفردوه عن هناني، قالوا: أمرأني، ولا يقال: أهناني، إنما هو الالتزام للتناسب (المصدر نفسه، 13/62، وينظر: ابن هشام 2/896)، والفعل مرأ تحول من مجرد ثلاثي من مزيد أصله (أمرأ)، فإذا أتبعوها كلمة هنأني، قالوا بغير ألف، فإذا أفردوا قالوا: أمرأني بزيادة الهمزة وأما تحويل الجرد إلى مزيد لتحقيق، فقد تحقق في قول الكميت:

أُبرق وأرعد يا يزي دُفما وعيدك بضائر (المصدر نفسه 5/243، وينظر: الفيروز آبادي 649 ولويس معلوف 1/267).

فالشاهد فيه: أبرق وأرعد، والجرد منهما: رعد وبرق، وفي حديث أبي مليكة:

إِنَّ أَمْنَا مَاتَتْ حِينَ رَعَدَ الْإِسْلَامَ وَبَرَقَ، أَي حِينَ جَاءَ بُوْعِيدِهِ وَتَهَدَّدَهُ (المصدر السابق) بغير همزة والأمر منهما: أَبْرَقَ وَأَزْعَدَ لِلْإِزْدَوَاجِ وَتَحْقِيقِ الْإِنْسَجَامِ بَيْنَ الْفَعْلَيْنِ .

د- يستغنى بالمفرد عن المثنى أو الجمع وعكسها: وتحقق لهذا الفرع من خلال الإتيان بالمفرد في موضع التثنية أو الجمع، من ذلك قوله تعالى ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ (طه الآية: 117)، وكان القياس يقتضي: فتشقى، إلا أن الحس الجمالي للقرآن الكريم يأبى إلا تحقيق المحاذاة بين الفواصل القرآنية.

والعلة كذلك أن آدم هو المخاطب، وفي فعله اكتفاء من فعل المرأة (الفراء 2/108 وينظر: ابن كثير 3/410)، وتجسدت الظاهرة كذلك في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾ (القمر الآية: 54) كان القياس يتطلب أن يجمع على أنهار لجمع جنات، لكن الفاصلة في السورة القرآنية وردت مختمة بالراء على تلك الهيئة، وحتى السورة ورد عنوانها: القمر (سورة مكية وعدد آياتها 54، في الترتيب المصحفي قبلها سورة النجم وهي مكية وبعدها سورة الرحمن وهي مدنية، اختتمت فواصل السورة كلها بحرف الراء، تارة ورد هذا الحرف مضموماً، وتارة مكسوراً، وتارة أخرى ساكناً، أي تنوعت فيه الصوائت انفصاراً)، فتحقق بذلك الانسجام ومن مظاهر الاستغناء بالمفرد عن المثنى في القرآن الكريم من أجل الحفاظ على الفاصلة نحو قوله تعالى ﴿ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴾ (الشمس الآية: 12)، يقال أنهما كان اثنين: فلان بن دهر والآخر قدار: ولم لقل أشقيها لأن العرب إذا أضافت إلى أسماء وحدوها في موضع التثنية والجمع (الفراء 3/157).

هـ- وأما إشار بعض الصيغ لتحقيق من خلالها المحاذاة بين الكلمات نحو قوله تعالى: ﴿ وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ (سورة التين، الآية: 3)، أثر القرآن ههنا سينين على الأصل: سيناء (الزجاج 5/324)، وذلك لتحقيق المحاذاة بين الفواصل: التين - سينين - الأمين.

وتجلت كذلك في قوله تعالى ﴿ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ (سورة ص، الآية: 5)، فقد أثر القرآن صيغة: فعال على فاعيل (عجيب) وكذلك قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ (سورة الإسراء، الآية: 45) عوض سائرًا، وهو اسم فاعل من الفعل: ستر، وهذا الانسجام مع الفواصل السابقة واللاحقة في السورة نفسها.

ومن مظاهر المحاذاة كذلك: العدول عن صيغة الماضي إلى صيغة المضارع من أجل الفاصلة، كما جاء في قوله تعالى ﴿فَقَرِيْقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيْقًا تَقْتُلُوْنَ﴾ (البقرة، الآية: 87)، والقياس كان يتطلب: وفريقا قتلتم. و- كما أن الإتيان يعد صورة من صور المحاذاة الصرفية، وهو من سنن كلام العرب، وهو كما قال أحمد بن فارس (ت395هـ) أن تتبع الكلمة على وزنها أو رويها إشباعاً وتأكيذاً، وقد سئل بعض العرب عن ذلك، فقال: هو شيء نند كلامنا، وذلك قولهم: ساغب لاغب، وهو حببٌ ضبٌ، وخراب ييابٌ، وقد شاركت العجم العرب في هذا الباب (ابن فارس، 1988، 263 وينظر: النعالي 413).

ومن المحاذاة الصرفية التي تحققت عن طريق الإتيان المخالفة القياس قول العرب: "هو أسوان أتوان" (ينظر: ابن منظور 1/147، والفيروز آبادي 56، ولويس معلوف 2/11)، فأسوان من أسى الرجل يأسى إذا حزن، وأسوان تساوي حزين، وأتوان من أتيت، ومعنى أسوان أتوان تساوي حزين متردد يذهب ويجيء من شدة الحزن.

وكان القياس يستوجب (أسوان أتيان)، ولكن حصل في (أتيان) قلب الياء واوا على لغة هذيل "هذيل قبيلة تقيم في منطقة الحجاز، ذات مكانة مرموقة بين القبائل، لهجتها توافق تارة لهجة الحجاز وطورا تخالفها، كونها تضم فئتين من السكان فئة متحضرة وأخرى تعيش في البادية" (ينظر: سالم نادر عطية أبو زيد، 66-67) التي تنهج هذا المنهج في تعاملها والدليل قول خالد بن زهير الهذلي.

يا قوم ما بال أبي دؤيب ***** كنت أتوته من غيب .

الشاهد في البيت: أتوته عوض: أتيت، وأصل الفعل هو أتى، حصل قلب الياء واوا.

ثالثا : المحاذاة في المستوى النحوي:

تتحقق المحاذاة في هذا المستوى من خلال صور ثلاث صورة في علامات الإعراب أو عن طريق الحذف، أو التقليل والتأخير.

فمن صور المحاذاة في علامات الإعراب الثلاث: الرفع والنصب والجر .

وهذا نحو قولنا: (هذا جحرٌ ضبٌ خرب) الشاهد فيه: خرب بالكسر، ورد الاسم مجرورا وعلة هذا الجر هو على الجوار، أي خرب جاورت ضبٌ، وكان حقها الرفع لأنها صفة للحجر.

فالجرّ في هذا السياق المحاذاة ككلمة سابقة وهي (ضبّ) .

وقال ابن جني: (ت392هـ) الأصل حرب مجحّره، ثم أنيب المضاف عن المضاف فارتفع واستتر(ابن هشام الأنصاري، 2/892) مثله ما قال امرؤ القيس:

كَأَنَّ ثَبِيرًا فِي عِرَانِينَ وَبُلْه **** كَبِيرُ أَنْاسٍ فِي بَجَادٍ مَزْمَلٍ (ابن منظور 1/53، ينظر: ديوانه 1974، 563). ورد البيت بصورة أخرى، وفاد ظباهم لا بفتك فتى ولا ** كبير أناس في بجاد مزمل.

الشاهد في البيت: المزمّل، فهو نعت لـ (كبيرُ) المرفوع، لا نعت لإيجاد المجرور، ولكنه جرّ للحوار. -ومن المحاذاة النحوية ما أنشده الفراء:

عَلَفْتُهَا تَبْنًا وَمَاءً بَارِدًا **** حَتَّى شَتَّتْ هَمَالَةً عَيْنَاهَا (ابن منظور، 9/355). الشاهد في البيت: تَبْنًا وَمَاءً، إذ حاذى بينهما، والأصل: عَلَفْتُهَا تَبْنًا وَمَاءً، على حذف العامل الثاني (سقيتها) .

-وقال آخر:

إِذَا مَا الْغَانِيَاتِ بَرَزْنَ يَوْمًا **** وَزَجَجْنَ الْحَوَاجِبَ وَالْعَيُونَا (ابن منظور 6/20). وإِنَّمَا أَرَادَ: وَزَجَجْنَ الْحَوَاجِبَ وَكَحَلْنَ الْعَيُونَا.

-المحاذاة والقراءات القرآنية، قوله تعالى ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ (سورة العلق: 16/15).

لقد حصل إتباع (ناصية) الثانية للأولى (الناصية).

ومما ورد مجرورا على الحوار في القرآن الكريم، قوله تعالى ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ (سورة الإنسان: الآية 21). قرأ الكسائي وخلف بجر (خضر) واستبرق بالكسر على الحوار الكلمة سندس.

وعلة جرّ كلمة (خضر) على أنها نعت لسندس ، وأما استبرق فهي عطف نسق على سندس، وقد قرئت (خضرٌ) و(خضر بالكسر) بالرفع والجر، فهو نعت لسندس (الزجاج 250-251/5).

وقد تجلت مظاهر المحاذاة في المستوى النحوي كذلك من خلال صرف ما لا ينصرف. نحو قوله تعالى ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾ (سورة الإنسان، الآية 4)، إذ وردت قراءة نافع، والكسائي وأبو جعفر وهشام بالتنوين، وذلك لمناسبة وتحقيق المحاذاة: سلاسلًا، أغلالًا وسعيرًا.

وقد تتحقق المحاذاة النحوية عن طريق الحذف، وتتجلى الظاهرة في قوله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى﴾ (سورة الليل: الآية 5)، الشاهد في الآية الفعلان: أعطى واتقى، وهما فعلان متعديان لم يستويا مفعوليها، حذف هذا المفعول لتحقيق المحاذاة بين الآيات السابقة عليها واللاحقة لها، وكذلك قوله تعالى ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ (سورة الضحى: الآية 3)، الشاهد: قلى، فعلى متعدي لم يستوف مفعوله وأصلح وما قلاك، وهذا لتحقيق المحاذاة وتنسيق الفواصل القرآنية.

ومن ذلك حف العامل الذي هو الفاعل ونيابة المفعول، نحو قوله تعالى ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ (سورة الليل: الآية 11)، الشاهد: تُجْزَى، نابت: النعمة (المفعول) عن الفاعل (الله) والتقدير يجري الله النعمة (السيوطي، 1985، 1/301).

كما تتحقق المحاذاة عن طريق تقديم الكلام وتأخير، أو المعمول على العامل، نحو قوله تعالى ﴿أَهْلُؤَلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (سورة سبأ: الآية 40)، والتقدير كانوا يعبدون، ومنه تقديم خبر كان على اسمها، نحو قوله تعالى ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ الشاهد: كفوا: خبر مقدم على (أحد) اسم كان: وهذا الانسجام فواصل الآيات، ومن ذلك تقديم شبه الجملة على المفعول به، نحو قوله تعالى ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ (سورة الإسراء: الآية 69)، جمع بين المجرورات لكم وعلينا وبه، لأن الفاصلة اقتضت تأخير المفعول به: تبيعا (السيوطي، 3/301).

الخاتمة:

تأكد لنا من الدراسة التي تناولت مصطلح المحاذاة من خلال معجم لسان العرب لابن منظور (ت711هـ) أن المحاذاة ظاهرة متميزة في مستويات اللغة: الصوتية والصرفية والنحوية، وهي في اصطلاح اللغويين: أن يجعل الكلام بحذاء كلام، فيؤتي به على وزنه لفظا وإن كانا مختلفين، وجاءت الأمثلة المختلفة والشواهد المتنوعة تدعم ما توصلنا إليه.

وقد تجلّت المحاذاة في المستوى الصوتي، في الصوائت والصوامت وظهرت في المستوى الصرفي في مسائل متعددة ومتنوعة وموثقة بشواهد لغوية من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر العربي، وهذا كمجيء المشتق على غير قياس والجمع كذلك على غير قياس، وتحويل الفعل المجرد إلى مزيد وعكسه، وكذلك الإستغناء بالمفرد عن المثنى والجمع وعكسها، وكذلك إثثار صيغ على أخرى والإتباع الذي هو من سنن كلام العرب.

وقد تجلّت في المستوى النحوي في نماذج ثلاثة: هي المحاذاة في علامات الإعراب الثلاث وعن طريق الحذف وبواسطة تقديم الكلام وتأخير.

تلك هي صور وظواهر المحاذاة التي تحققت في المستويات اللغوية السالف ذكرها مشفوعة بشواهد من التراث اللغوي العربي.

قائمة المراجع:

1. امرؤ القيس، ديوانه، تح: الشيخ ابن شنب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر.
2. ابن جني، الخصائص، تح: عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
3. ابن فارس، 1988، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تح: عمر فاروق الطباع، مكتبة دار المعارف، بيروت، ط1.
4. ابن قتيبة، 1988، أدب الكاتب، تح: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.
5. ابن كثير، 2011، تفسير القرآن العظيم، إشراف: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة الرشد، الرياض، ط1.
6. ابن منظور، 1993، لسان العرب، المؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط3.
7. ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد.
8. النعالي، 2008، فقه اللغة وسرّ العربية، تح: سليمان البواب، دار الحكمة، دمشق، ط2.
9. رجب عبد الجواد إبراهيم، 2008، موسيقى اللغة، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط2.
10. الزجاج، تهذيب معاني القرآن وإعرابه، تح: الشيخ عرفان، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان.

11. جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تح: محمد أحمد جاد المولى، دار التراث، القاهرة، ط3.
12. جلال الدين السيوطي، 1985، الاتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ط3.
13. الفارابي، 1974، ديوان الأدب، تح: أحمد مختار عمر، مط/مجمع اللغة العربية، القاهرة.
14. الفراء، معاني القرآن، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.
15. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح: أنس محمد الشامي، دار الحديث، القاهرة.
16. مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، تح: إبراهيم أنيس وآخرون، القاهرة، ط2.
17. الميداني، 1959، مجمع الأمثال، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مط/السعادة، القاهرة.
18. عبد البديع النيرباني، 2006، الجوانب الصوتية في كتب الإحتجاج للقراءات، دار الغوتاني للدراسات القرآنية، دمشق، ط1.
19. عبد السلام الحوفي، شرح القصائد العشر للإمام التبريزي، إدارة الطباعة المنيرية. دط